الرحمة في القرآن الكريم والكتاب المقدس

(دراسة مقارنة)

إعداد:
د. ليليا شنتوح
أستاذة الفكر والأديان
جامعة الجزائر

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

اتفقت الأديان السماوية قاطبة على مجموعة من القيم الأخلاقية، مثل المحبة والتعاون والرحمة، لما في هذه القيم من أثر في حماية الفرد والأسرة والمجتمع من التدهور والتفكك والتخريب والتفتت، وإن أكثر الأفراد والأسر نجاحا في حياتهم العملية هم أولئك الذين يرتبطون فيما بينهم بآواصر المحبة والتراحم والألفة، وعلى قدر ما يكون صفاء قلب المرء ونقاؤه يكون أكثر قربًا إلى الله وأشد إيمانًا.

وتعتبر الرحمة من القيم الأخلاقية الإنسانية الأكثر ورودًا في الكتب السماوية المقدسة، على اختلاف بينهم -طبعًا- في التفاصيل سعةً وضيقًا، ولئن تحدثت هذه الكتب عن رحمة الإله بعباده، وعن شفقة الأنبياء والرسل على الضعفاء والفقراء والمساكين والمرضى، ودعت إلى تعزيز روابط الرحمة والمحبة بين البشر، وعملت على ترسيخ هذا المفهوم باعتباره مفهومًا تأسيسيًّا من خلال عقد عشرات الملتقيات والمؤتمرات والندوات منذ سبعينيات القرن الماضي، مثل مؤتمر النداء لتحقيق التفاهم الإنساني

ببيروت سنة ١٩٧٢م(١)، الذي خرج بمجموعة من التوصيات كان على رأسها ضرورة تحقيق التراحم بين البشر، وتحويل الدين إلى فضاء محبة، لا واجهة حرب وخصومات، ومؤتمر الملتقى الإسلامي المسيحي سنة ١٩٧٤م بتونس، والذي حث بدوره على تفعيل هذه القيمة وتوظيفها في إسعاد الإنسانية جمعاء، وتحقيق التنمية ودرء العنف(٢).

فإن بعض رواد هذه الكتب قد اهتموا بمفهوم الرحمة في بعده التنظيري المجرد، فظل حبرًا على ورق، نظرًا للسلوكات العدوانية لبعض المنتسبين لهذه الأديان، خصوصا فيما تعلق الأمر باليهود والنصارى، الذين صرحوا بأن الرحمة الإلهية هي قلب كتابهم المقدس من جهة، ومن جهة أخرى اتهموا الدين الإسلامي بأنه دين العنف(٣) والسيف والحرب والقتل والرعب، وبعبارة مختصرة: الدين الذي لا رحمة فيه، ومثال ذلك تصريحات بابا الفاتيكان بنيدكت على لسان الإمبراطور (البيزنطي) مانويل الثاني باليولوغوس، وهو يحاور مسلمًا فارسيًّا، قائلًا: "أرني ما هو الجديد الذي أتى به محمد، وسوف تجد أشياء كلها شريرة وغير إنسانية، من مثل أمره بنشر الدين بالسيف؟"(٤)، وما ذكره المفكر الأمريكي جيفري لانغ (Jeffrey Lang)(٥) الذي أسلم في كتابه (حتى الملائكة تسأل)، قال: "إن الاعتقاد بأن الإسلام يروج للعنف فكرة متأصلة في التجربة الغربية، لدرجة أننا

---

(١) أشرف على تنظيم هذا المؤتمر مجلس الكنائس العالمي.
انظر: علي مبارك: الرحمة والإحسان في تقاليد الأديان، مجلة الأديان، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، العدد ٠١، ٢٠١١م، ص٤٣-٤٤.

(٢) علي مبارك: الرحمة والإحسان في تقاليد الأديان، ص٤٤.

(٣) Norman Daniel,Islam et Occident, traduit par Alain Spiess, Eddn Cerf,Paris,1993,p151.

(٤) نقلًا عن جريدة المستقبل اللبنانية، السبت ١٦ سبتمبر ٢٠٠٦م، العدد٢٣٨٨، الصفحة ١٩.

(٥) جيفري لانج: (Jeffrey Lang)، ولد سنة ١٩٥٤، بمدينة برديجبورت، بروفيسور في الرياضيات أمريكي. يعمل حاليًا في قسم الرياضيات في جامعة كنساس، استلم شهادة الفلسفة من جامعة باردو سنة ١٩٨١، وقد كان كاثوليكيا ثم أسلم له مجموعة مؤلفات منها: الصراع من أجل الإيمان، حتى الملائكة تسأل،... انظر ترجمته في:
Lang, Jeffrey ,Struggling to Surrender: Some Impressions of an American Convert to Islam. Beltsville, Maryland,USA, 1994, p04

نستطيع أن ندعو ذلك بديهية ثقافية، واعتقد أن ليس هناك غربي تقريبًا لا يؤمن بالفكرة القائلة: إن الإسلام يحرض على استخدام القوة في سبيل نشر الدعوة"(١)، في حين ذهب علماء الإسلام إلى أن الرحمة سمة من سمات الدين الإسلامي، ومقصد أساسي من مقاصد الشريعة الإسلامية، حث عليها القرآن الكريم في الكثير من المواضع منه.

ومن هنا نروم من خلال هذه المداخلة أن نعقد مقارنة بين حقيقة الرحمة في الكتب السماوية المقدسة، والتي نقصد بها القرآن الكريم والكتاب المقدس، بشقيه العهد(٢) القديم(٣) والعهد الجديد(٤)، ونفترض في البداية أن المقولة الأولى صحيحة، وأن الإسلام دين لا رحمة فيه، وأن الديانتين اليهودية والمسيحية(٥) هما ديانتا الرحمة والمحبة بكل الدلالات التاريخية، والابستمولوجية(٦)، والمصطلحية والمنطقية.. إلخ.

---

(١) جيفري لانغ: حتى الملائكة تسأل، تر: منذر العبسي، ط١: دار الفكر، ٢٠١٠م، ص

(٢) العهد : يعبر عن العهد في اللغة العبرية (بريت) Berit، ومعنى بريت اتفاق أو عقد بين طرفين.
Dictionnaire encyclopédique du judaisme, Publie sous la direction de Geoffrey wigor édition de l' Encyclopédie, S. éd, les éditions du cerf ;Paeris, 1993, p44.

(٣) العهد القديم: هو الجزء الأول من الكتاب المقدس، ويعرف بالتناخ، وهو كتاب الله الذي يصل بين الله وشعبه، وهو مجموعة مؤلفات–أسفار– كان اليهود يسمونها (الشريعة والأنبياء والمؤلفات أو الكتاب.
انظر في ذلك: الترجمة الفرنسية المسكونية للكتاب المقدس، المدخل إلى العهد القديم ص٥٤-٥٥.

(٤) العهد الجديد : هو الجزء الثاني من الكتاب المقدس، الذي تقدسه طوائف النصارى، وأطلقت هذه التسمية العهد الجديد في آواخر القرن الثاني الميلادي، وأخذت من نصوص وردت في العهد القديم: (ها أيام يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهودا عهدًا جديدًا، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم).
انظر في ذلك: أحمد عبدالوهاب: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ط٢، مكتبة وهبة، ١٩٨٨م ص١٤.

(٥) المسيحية إشارة إلى الديانة الكنسية الحالية، وهي الديانة التي تؤمن بألوهية المسيح، وليست لها علاقة به، ولم تكن المسيحية معروفة خلال حياة المسيح عليه السلام، لأنها ظهرت بعد وفاته بأكثر من عقدين من الزمن من لسان بولس لوصف أتباعه (أعمال الرسل ١١: ٢٦)، ولم يكن المسيح يعلم شيئًا عن عقائد بولس التي نشأت بعده.. والمسيحية كلمة لمفهوم هلنسي تشير إلى شخصية ميثولوجية للمسيح بعد وفاته.
انظر في ذلك: محمد فاروق الزين: المسيحية والإسلام والاستشراق، ط٣، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٣م، ص١١١.

(٦) الابستمولوجيا : من الناحية اللغوية متكونة من كلمتين يونانيتين «ابستمي» ومعناها علم، والثانية لوغوس، وهي بمعنى علم أيضًا، فهي إذن معناها اللغوي «علم العلوم» أو «الدراسة النقدية اللغوية»، ويختلف المعنى الاصطلاحي كثيرا عن المعنى اللغوي، فالابستمولوجيا هي نظرية في المعرفة. حسين شعبان: بروشفيك وباشلايير: بين الفلسفة والعلم، ط١: بيروت: لبنان، دار التنوير، ١٩٩٣م، ص١٢٢.

ثم نقارن بين مادة الرحمة وما يرتبط بها في القرآن الكريم والكتاب المقدس، ونعرج بعدها إلى التحليل الكيفي، فالمقارنة النوعية، والموضوعية، والمنهجية،.. إلخ، مما يظهر قيمة الرحمة ومادتها وعوارضها بين ما ورد في القرآن الكريم، وما جاء في الكتاب المقدس.

واعتمد في هذه الورقة الافتراض، والمنهج التحليلي، فالنقدي، ثم المقارنة وتكون النتيجة بعد ذلك، أن يثبت الافتراض أو ينتفي دون تحيز، ولا أحكام مسبقة ولا مصادرة على المطلوب ولا مغالطة، بل سأجهد مداركي لكشف أبعاد الموضوع ومداه، اعتمادًا على الوحي أولًا ثم باعتماد نصوص الكتاب المقدس ثانيًا، والأدلة المنطقية في تحليل موضوع الرحمة.

وقد أردت من خلال هذا البحث أن أسهم ولو بجهد المقل في إماطة اللثام عن جانب الرحمة في القرآن الكريم والكتاب المقدس (دراسة مقارنة)، خاصة أني لم أقف -مع طول البحث والتقصي- على دراسة تناولت هذا الموضوع بالبحث على الشكل الذي نعزم الكتابة فيه، مما يجعل الحاجة ملحة لدراسته.

وتهدف هذه الورقة إلى تحقيق جملة من الأهداف، هي:

- الرد على كل من يزعم أن الإسلام دين إرهاب وعنف وقتل.
- تصحيح الصور النمطية الخاطئة لدى اليهود والمسيحيين، حول حقيقة الرحمة في الإسلام ومعتقداته.
- بيان معالم عظمة الدين الإسلامي من خلال مقارنته بنقائضه.
- المساهمة في الحوار بين الأديان، خاصة بين الكتب السماوية المقدسة.
- المساهمة في إثراء الدراسات الإسلامية المقارنة بجانب قد أغفل كثيرًا إلا وهو الرحمة في الكتب السماوية المقدسة.

- الدعوة إلى إنتاج خطاب علمي أكاديمي يراعي السياق الغربي المقارن.

إشكالية الدراسة:

أما إشكالية الدراسة فيمكن معالجتها ضمن سؤال رئيس، وهو: هل حثت الكتب السماوية المقدسة على خلق الرحمة؟ وعن هذا الإشكال الرئيس تتفرع تساؤلات فرعية تنظم مسار الدراسة، وتمنهج نطاقها وهي:

- ما هي معاني الرحمة في القرآن الكريم؟ وما هي معانيها في الكتاب المقدس؟
- هل هناك أوجه اتفاق واختلاف بين معاني الرحمة في القرآن الكريم والكتاب المقدس؟.
- وأخيرًا هل طبقت الرحمة في واقع المجتمعات الإنسانية؟

خطة الدراسة:

للإجابة على هذه التساؤلات تم بناء خريطة البحث، وخطتها على الشكل التالي:

المحور الأول: معاني الرحمة بين القرآن الكريم والكتاب المقدس.

أولًا: الرحمة في القرآن الكريم.

ثانيًا: الرحمة في الكتاب المقدس.

ثالثًا: مادة الرحمة بين القرآن والكتاب المقدس مقارنة كمية.

رابعًا: موانع وعوارض الرحمة بين القرآن والكتاب المقدس مقارنة الكمية.

خامسا: الرحمة والسيف في القرآن الكريم والكتاب المقدس.

المحور الثاني: نماذج الرحمة بين القرآن الكريم والكتاب المقدس.

أولًا: الرحمة الإلهية

ثانيًا: قصة آدم عليه السلام.

ثالثًا: تجليات الرحمة الإلهية في النموذج النبوي موسى عليه السلام(١) ومحمد صلى الله عليه وسلم في شريعة الحرب والقتل.

رابعًا: الرحمة بالحيوانات.

المحور الثالث: الرحمة والعنف مقاربات في واقع المجتمعات العالمية.

خاتمة وتوصيات.

* * *

---

(١) موسى الذي تحدثت عنه التوراة ليس موسى عليه السلام المذكور في القرآن الكريم،

المحور الأول
معاني الرحمة بين
القرآن الكريم والكتاب المقدس

أولا
الرحمة في القرآن الكريم

وردت الرحمة ومشتقاتها في القرآن الكريم ثلاث مائة وثمان وثلاثين مرة حسب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم(١)، وقد جاءت بمعان مختلفة:

- تارة بمعنى العفو، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٢﴾ [البقرة].
- وأخرى بمعنى المحبة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١﴾ [آل عمران].
- وتارة بمعنى الصفح في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر:٨٥].
- والبر، قال تعالى: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢﴾ [مريم].
- ومرة نقيضًا للفساد في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟

---

(١) فؤاد عبدالباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دط، دب: دار ومطابع الشعب، دت، ص٣٠٥-٣٠٦-٣٠٧.

ﭐفِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٥٦)﴾ [الأعراف]، وفي قوله أيضًا: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ (٢١)﴾ [يونس].

- وجاءت نقيضًا للضر في سورة الروم، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ (٣٣)﴾ [الروم].
- وجاءت مرتبطة بصفات الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا (٦٥)﴾ [الكهف]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ (١٧٨)﴾ [البقرة].

يتضح من خلال ما سبق أن الرحمة جاءت في القرآن الكريم بعدة معان، هي الصفح والعفو والمحبة والبر، ونقيضًا للفساد والضر، وكلها معاني متقاربة، فإذا كانت هذه بعض معاني الرحمة في القرآن الكريم، فما هي معانيها في الكتاب المقدس بشطريه العهد القديم والعهد الجديد؟.

ثانيًا

الرحمة في الكتاب المقدس

ورد مصطلح الرحمة في مواضع مختلفة من الكتاب المقدس، وإن كان من العسير علينا تتبع تطور هذا المفهوم في نصوص الكتاب المقدس كاملة

في هذا الحيز الضيق من الدراسة، ولكن سنحاول استقراء بعض المفردات التي تدل على الرحمة في العهدين القديم والجديد، كما يلي:

١. العهد القديم

استخدمت أسفار(١) العهد القديم الرحمة، بتعابير مختلفة، لكل منها معنى يختلف اختلافًا دقيقًا عن الآخر، من حيث علم معاني الألفاظ، ويمكن حصرها فما يلي:

- الرحمة التي تعني المحبة والمساعدة، وقوة التحرر والدفاع عن الآخرين.

- كلمة حسد التي استخدمت أكثر من مئة مرة في أسفار موسى الخمسة، في الكتب التاريخية في الأدب والحكمة والمزامير(٢) والأنبياء، وتستخدم هذه الكلمة في سياق العهد الذي عقده اللّه مع شعبه المختار، وهي تعني محبة المؤمنين والخير والنعمة والإخلاص، وقد استعملت لفظة «حسد» في العهد القديم للحديث عن الرب، فإنها تشير دائمًا إلى العهد الذي أبرمه اللّه مع إسرائيل.

- كلمة رحميم، وهي اسم عبري معناه شفوق أو محبوب(٣)، وجاءت باسم Gemilut Hasadim أي بمعنى العطاء، وهو معنى قريب إلى معنى الرحمة، ومعناه تقديم كافة أنواع المساعدة والعون لمن يحتاجها(٤).

- كلمة الرحم، وهي كلمة مشتقة كذلك من الرحيم، ورحم الأم، وتشير

---

(١) السفر: جمع أسفار، وهو الكتاب أو الدرج،
انظر: جوزيف صابر وآخرون: دائرة المعارف الكتابية، دط، القاهرة: دار الثقافة، دت، ج٤، ص٣٨١.

(٢) المزامير: هذا السفر عبارة عن مجموعة من الترنيمات والأناشيد والمزمورات والقصائد والتسابيح والأغاني المقدسة، يعبر بها عن أشواق وعواطف دينية،
انظر: نخبة من اللاهوتيين: كتاب مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، بيروت: دد، ٢٠٠٨، ص١٢٦.

(٣) نخبة من الأساتذة: قاموس الكتاب المقدس، هيئة التحرير: بطرس عبد الملك وآخرون،

(٤) الحاخام ستيسالتز أجرى: المودة والرحمة، ص ٠٨.

إلى الحشا، الذي فيه يتكوّن الولد وينمو، فالربّ هو أب وأم أيضًا، وفي هذا يقول إشعيا(١) (Isaiah): "إنَّ اللّه يشبه الوالدة، التي لا تنسى من ترضعه، وترحم دومًا ابن بطنها. وإن حصل ونسيته، إلاّ أنّ الربّ لا ينسى من كوّنهم في أحشائه"(٢)، كما تعني هذه الكلمة أيضًا العطف والتعاطف إلى درجة البكاء والحنان والصبر والاستعداد للمغفرة(٣).

- كلمة حنان، وهي تحدد التصرف الذي هو دائم وكريم وسجية، وتدل على إظهار الرحمة والمغفرة من الذنب(٤)، ومن الأمثلة على ذلك: في سفر الخروج "الرب إله رحيم ورؤوف، بطيء الغضب، وغني في الرحمة والإخلاص، واستمرار لطفه إلى ألف جيل"(٥).

والجدير بالذكر هنا أن الرحمة في الكتاب المقدس في أسفار اليهود، تعني أن اللّه يحافظ على عهده ومحبته لشعبه المختار، ففي سفر التثنية(٦) (Deuteronomy) والخروج (٧) (Exodus) على سبيل المثال تبرز رحميم العبرية، التي تعني توق اللّه للإنسان والعمل على إبراز الشعب المختار والخروج من العبودية في مصر.

---

(١) سفر إشعيا: هو إشعيا بن آموص أحد الأنبياء العبرانيين، وإليه ينسب السفر، ومعنى إشعيا: الرّبّ يخلص.
انظر: نخبة من اللاهوتيين: مرشد الطالبين، ص١٥٧

(٢) إشعيا ٤٩: ١٥

(٣) سفر هوشع ١١: ٨

(٤) http://www. faustyna. pl/zmbm/en/in-the-old-testament/?wide=true#more-145

(٥) سفر الخروج: ٣٤: ٦-٧-١١.

(٦) سفر التثنية: ويسمى بالعبرية ديفاريم، أي الكلمات، وهي أول كلمة وردت في السفر، وهو يعني إعادة الشريعة وتكرارها على جماعة إسرائيل. انظر: عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٥، ص٩١.

(٧) سفر الخروج: هو السفر الثاني من أسفار موسى عليه السلام، يحتوي على أربعين إصحاحًا، وهو سجل لتاريخ خروج بني إسرائيل من مصر، متجهين إلى فلسطين، وقد تضمن كذلك الحوادث التي جرت من موت يوسف إلى وقت بناء خيمة الشهادة.
انظر: نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص، ومن اللاهوتيين، بطرس عبدالملك، جون ألكسندر طمسن وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، حرف الخاء/مادة الخروج).

وقمة الرحمة في العهد القديم تبرز من خلال اتصال اللّه مع واقع كفر شعب اللّه المختار، فهذا الشعب وكما تبرزه نصوص العهد القديم قد عصى اللّه مرارًا وتكرارًا وخانوه عندما عبدوا العجل الذهبي وقت عبور الصحراء (١) أو من خلال إظهارهم عدم الثقة في اللّه، وهذه الخطايا تعني ضمنيًا انتهاكًا للعهد الذي أبرموه مع اللّه، ومن ثم للمعنى الدقيق للكلمة، فاللّه لم يعد ملزمًا بتقديم رحمته، أو أن يبارك شعبه، وكان للّه الحق في تدمير الأمة اليهودية، ولكن نظرًا لحبه للإنسان يستمر دوما في منحه الخير والرحمة العظيمة والمغفرة غير المحدودة(٢).

فإذا كانت الرحمة في العهد القديم مقترنة في أكثر النصوص بشعب اللّه المختار، وهم اليهود، ومن ثم فهي خاصة بهم، فما هي خصائصها في العهد الجديد؟

٢. الرحمة في العهد الجديد:

ارتبطت الرحمة في العهد الجديد بشخص يسوع(٣) المسيح (Jesus Christ) عليه السلام، فقد ذكرت الأناجيل المعترف بها عند النصارى: أن اللّه أنزل رحمته ومحبته من خلال المسيح يسوع، وفي هذا السياق يشير البابا يوحنا بولس الثاني قائلًا: "إن يسوع كشف من خلال أسلوب حياته وأفعاله أن الحب موجود في العالم الذي نعيش فيه".

ومن المصطلحات اليونانية، والتي تشير إلى لفظ الرحمة في الأناجيل نذكر:

---

(١) سفر الخروج: ٣٢: ٠٤.

(٢) Alice M. Sinnott ,Mercy Ever Ancient Ever New: Spiritual and Corporal Works of Mercy, PDF, p6-7-8

(٣) لفظ يسوع هي الصيغة اللاتينية المحرفة لاسم يشوع ومعناه "يهوه هو الخلاص"، وهو بنظر المسيحيين الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس المؤلف من الآب والابن والروح القدس، ويرى غير المسيحيين أنه مجرد نبي يهودي وإن أله وعبد.
هنري. س. عبودي: معجم الحضارات السامية، ص ٩١٠-٩١١.

١. Eleos (الإيوس)، والذي يدل على الرحمة والشفقة تجاه المحتاجين، فرحمة الله التي تجمع في إضمامة واحدة كل تاريخ الخلاص بقوة فائقة: (وَرَحْمَتُهُ إِلَى جِيلِ الأَجْيَالِ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَهُ)(١).

٢. Splanchna وهو يعادل المصطلح العبري رحميم، الذي يشدد على البعد الداخلي النفسي لسر الرحمة والمودة الداخلية، والتعاطف واللطف.

٣. Oiktirmon وهي تكشف عن قوة رحمة الله (٢).

وعلى العموم فرحمة الله في الأناجيل تشمل سر تجسد ابن الله، وهي مرتبطة أشد الارتباط بشخص يسوع -كما ألمحنا إلى ذلك سالفًا-، وتشير في العديد من النصوص إلى أن الله على استعداد من خلال تقديم ابنه يسوع فدية للبشرية وإظهار سعة رحمته، بل إن أعظم تجلياتها جرت على شجرة الصليب، لذا الرحمة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بسر الخلاص(٣).

ومن هنا ارتكزت رحمة الله في الأناجيل على المسيح بتجسده وفدائه، (حسب عقيدة المسيحيين الحاليين، وأنه تحمل عن الآخرين وفدى بنفسه عن ذنوبهم).

والرحمة في العهد الجديد لا تعني فقط التحرر من الخطيئة، ولكن أيضًا الدفاع عن الضعفاء والمظلومين، وشفاء المرضى وغيرها من الأعمال الخيرة، وقد برزت معاني الرحمة في خطبة المسيح على الجبل، التي تعد قمة في هذه المعاني المثالية، حيث قال فيها: "طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات، طوبى للودعاء، لأنهم يرثون الأرض،

---

(١) إنجيل لوقا: ١-٥٠.
(٢) Alice M Sinnott, Mercy in the Bible, p4-5.
(٣) لوقا: ١: ٤٦-٥٤: ٦٨-٧٨

طوبى للجياع والعطشى إلى البر، لأنهم لا يشبعون، طوبى للرحماء، لأنهم يرحمون، طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يدعون"(١).

ونلاحظ من خلال هذه القرائن النصية التي انتخبناها أن الرحمة اقترنت في الكتاب المقدس بمفهوم العهد والملك والرأفة والمحبة والشفقة، وكل هذه المعاني قريبة لمعاني الرحمة في القرآن الكريم واللغة العربية.

بعد هذه الجولة مع مصطلح الرحمة في القرآن الكريم والكتاب المقدس نصل إلى المقارنة الكمية لهذا المصطلح بين الكتابين كما يلي:

ثالثًا

مادة الرحمة بين القرآن والكتاب المقدس

مقارنة كمية

نحاول أن نقارن بين هذه المادة في مستوى الجذر أولًا، ثم في تصريفاتها إلى الفعل الماضي والمضارع، ثم نقارن بين موانع الرحمة وعوارضها مع التعليق والتحليل للمقارنة الكمية كما يلي:

أولًا: المقارنة الكمية:

على مستوى الجذر والألفاظ المقاربة (حب شفق، رأف، غفر، سلم) نقصد بالمعاني المقاربة هنا تلك المعاني التي تتوافق وتتشابه وتتلائم مع الرحمة: كمصطلح موجود في القرآن الكريم والكتاب المقدس، ولا ريب فإن هذه الكتب تحتوي على ألفاظ صريحة كلفظ الرحمة، وألفاظ مقاربة لهذا المعنى مثل: شفق، وحب، وغفر، رأف وسلم، وقد حاولنا أن

---

(١) متى: ٥: ٥-٣٩.

نعقد مقارنة بينها في الكتابين فكانت النتيجة:

المادة	القرآن الكريم (١)	الكتاب المقدس (٢)
رحم	١٥٣	١٣٦
حب	٢	٠
شفق	١١	٣
رأف	١١	١٠
سلم	١٠١	٨٣
عفو	٤٩	٢١

والملحوظ من خلال هذه النتيجة الأولية للمقارنة الكمية بين مادة رحمة ومرادفاتها (حب وشفق ورأف..) أن القرآن الكريم يحتل المرتبة الأولى قبل الكتاب المقدس، فقد وردت كلمة رحم في ١٥٣ مرة، ثم الكتاب المقدس بـ ١٣٦مرة، وجاءت كلمة حب في ٢ مرة، وليس بأقل أهمية ما ورد بالنسبة لمادة رأف وسلم وعفو، فإن القرآن يسجل الرقم الأكبر دعوة إلى الرأفة والعفو والسلم.

---

(١) اعتمدت في عملية الإحصاء بالنسبة للقرآن الكريم على برنامج http://www.alawfa.com/Go.aspx?keyword=%d9%82%d8%aa%d9%84

(٢) اعتمدت في عملية الإحصاء للكتاب المقدس على الموقع الإلكتروني http://st-takla. org/Bibles/BibleSearch/search. php

ثانيًا: المقارنة الكمية: فعل مضارع (صيغة مفرد) (يبر، يغفر):

المادة	القرآن الكريم (١)	الكتاب المقدس (٢)
يرحم	١	٢٣
يحب	٣٩	٨٣
يسلم	٣	١٠٨
يعف	٨	٥
يغفر	٣٠	٢٨

إن الفعل المصاغ من المادة بصيغة المفرد يرحم وترحم ومرادفاتها يحب، يعف، ويسلم، ويغفر، فإنها دالة على توظيف الرحمة في علاقتنا مع الله أو بعضنا مع بعض في إطار الأخوة والمحبة والسلام، وهنا أود أن أشير إلى أن هناك من الألفاظ السابقة على مستوى الجذر ما لم يرد في القرآن الكريم فعلًا مضارعًا، لذا اخترت الألفاظ المستعملة في كلا الكتابين حتى نستطيع المقارنة.

وفي هذا الجدول نلاحظ بداية تقلص الفوارق بالنسبة للكتاب المقدس، حيث يحتل المرتبة الأولى قبل القرآن الكريم، فقد ورد الفعل المضارع يرحم في الكتاب المقدس في ٢٣ موضعًا، في حين ورد في موضع واحد من القرآن الكريم بفارق ٢٢ مرة، والأمر نفسه بالنسبة لكلمة يحب، وهنا أود التنبيه إلى أن كثرة تعداد الكلمة في الكتاب المقدس ليس له دلالة على شيء، لأن العبرة بسياق الكلام الذي وضعت فيه، ومعناه الذي دلت عليه، وليس فقط بكثرة ورودها، فقد صرح صاحب القاموس الموسوعي للعهد

---

(١) اعتمدت في عملية الإحصاء آيات القرآن الكريم على برنامج http://www.alawfa.com/Go.aspx?keyword=%d9%82%d8%aa%d9%84

(٢) اعتمدت في عملية الإحصاء على الموقع الإلكتروني http://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/search. php

الجديد أن كلمة الرحمة Eleos ومشتقاتها ترد حوالي ٤٠٠ مرة في سب(١)، ومن ثم فقد استعملت في غير معناها الحقيقي الذي يدل على العطف والمحبة والرأفة، بل إننا وجدنا كلمة الرحمة ومشتقاتها تستعمل في بعض الأحيان للدلالة على النفي، مثلما هو الحال بالنسبة لهذا النص الإنجيلي: «لأن الحكم هو بلا رحمة لمن لم يعمل رحمة»، ومن جهة أخرى، فإن معظم تعداد كلمة الرحمة في الكتاب المقدس جاء وصفًا للإله، وهذا مع كثرة تعداده لا يدل إلا على معنى واحد ونوع واحد من الرحمة فقط، فتكراره لا يدل على كثرة الرحمة عندهم، وإنما على رحمة الإله، وهذه صفة إلهية يتفق فيها الجميع، وأخيرًا وحتى لو سلمنا جدلًا بصحة تعداد كلمة يرحم ويحب ويسلم وسياقاتها المتنوعة الدالة على معاني مختلفة، فلا مقارنة بين الكتاب المقدس والقرآن الكريم، لأن الكتاب المقدس عبارة عن مكتبة، أي مجموعة من الكتب (٧٣ كتابًا) التي ألفت خلال قرون متعددة، أما القرآن الكريم فهو كتاب واحد، جمع خلال ثلاث وعشرين سنة فقط، فلا وجه للقياس أُصلا.

رابعًا

المقارنة الكمية: موانع وعوارض الرحمة

نقصد بعوارض مصطلح الرحمة هي تلك الألفاظ التي تؤدي معنى مضاد للرحمة، وهي ألفاظ لا تتناسب مع لفظ الرحمة، وبعد بحث في ثنايا القرآن الكريم والكتاب المقدس، وجدت أن من أهم هذه الألفاظ الأنانية، الفساد، القتال، الضر، الكراهية، ووصلنا في المقارنة إلى ما يلي:

---

(١) Verlyn. D. Verbrugge, New International Dictionary of New Testament Theology Copyright 2000. By The Zondervan Corporation Michigan, p 209.

المادة	القرآن الكريم	الكتاب المقدس
الأنانية	٠	٢٦٠
الفساد	١٧	١٥٥٩
القتال	١٠	٦٥٠
الضر	١٤	٣١
الضر	٦٠	٥٥٥

ومن خلال المقارنة الكمية لهذه المصطلحات يبدو الفارق جليًا في حرص القرآن الكريم على التحلي بخلق الرحمة من خلال النهي عن عوارضه التي هي الأنانية والفساد والقتال والضر. بل إن عدد مرات ورود لفظ الفساد والقتال أقل بكثير جدًا مما ورد في الكتاب المقدس، مما يدل على أن الدين الإسلامي ليس دين عنف ولا قتال، ولا كراهية ولا ضر.

خامسًا

الرحمة والسيف في القرآن الكريم والكتاب المقدس

لعل المقارنة الإحصائية للمواد التي لها علاقة بالسيف، مثل: القتل، والاغتيال، وسفك الدماء. إلخ، تساعدنا على معرفة مدى صدق تهمة الإسلام على أنه دين سيف وقتل، وأنه دين لا رحمة فيه:

المادة	القرآن الكريم	الكتاب المقدس
سيف	٠	٢٤٩
قتل	٧٧	٥٧٦
قاتل	٤٢	٦٦
يقاتل	١٥	٦
دماء	٤	٤٤

جهاد	٤	١١
يجاهد	٦	٣
اقتل	٢٠	٣١
المجموع	**١٦٨**	**٩٨٦**

إن القراءة التحليلية للإحصاء الكمي لمادة السيف والقتل بين القرآن الكريم والكتاب المقدس تضع الكتاب المقدس في قائمة الكتب بـ ٩٨٦ بفارق ٨١٨ مرة، ويليه القرآن الكريم بـ ١٧٠ مرة، وهذا الترتيب ينقض تمامًا ادعاء أهل الكتاب المقدس ولا سيما المسيحيين منهم، وعلى رأسهم -طبعا-بابا بنيدكت، ويدفعهم إلى إعادة النظر في حكمهم وإعادة قراءة الكتاب المقدس قراءة متأنية.

وهنا أورد قولًا للقسيس دافيد بنجامين الكلداني(١) مخاطبًا رهبان البروتستانت: "أقول إلى رهبان البروتستانت وواعظيهم الذين يدعون أن المسيح جاء بالسلام، إن مدعاكم غلط محض، وإن المسيح قد قال صريحا وتكرارًا إنه لم يأت بالسلام، بل بالسيف والنار، والاختلاف والتفريق بين الناس، فلا مناسبة للسلام بالمسيح.."(٢).

وجاء في إنجيل متى: "لا تظنوا أني جئت لألقي سلامًا، ما جئت لألقى سلامًا بل سيفًا"(٣)، وفي موعظة أخرى للمسيح نقرأ في الإنجيل: "جئت لألقي نارًا على الأرض، أتظنون أني جئت أعطي سلامًا على الأرض، كلا أقول لكم، بل انقسامًا"(٤).

---

(١) هو دافيد بنجامين الكلداني ولد سنة ١٨٦٨م، كان قسيسا للروم من طائفة الكلدان، وبعد إسلامه تسمى بعبدالأحد داود، خلف مجموعة من الكتب من أهمها: الإنجيل والصليب.
انظر ترجمته في:
David Benjamin Keldan, Muhammad In The Bible, Editea by : David M. Rifat Al-Hanbali, Published by : ESBAH Publshing House, K S A ? P03

(٢) الإنجيل والصليب، د م ن، ص ٣٢.

(٣) إنجيل متى، ١٠

(٤) إنجيل لوقا: ١٢

في حين نجد أن الدين الإسلامي لا يحض على السلبية والاستسلام، وهو في الوقت نفسه يؤكد أن الظلم والجور غير مقبولين شرعًا، مهما كان مبررهما، ولذا فإن أي حرب هي في حقيقتها دفاع عن النفس وحصن للدين، فلها من ثم ما يسوغها شرعًا.

قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة].

وقال: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥﴾ [النساء].

وقال أيضًا: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١﴾ [الأنفال].

* * *

المحور الثاني
مادة الرحمة بين القرآن الكريم والكتاب المقدس التحليل الكيفي

تتخذ مادة الرحمة في القرآن الكريم والكتاب المقدس موضوع الدراسة مداخل متعددة، ومقاربات متباينة، أختار نماذج منها، لمعرفة مدى قرب أي مصدر أو بعده عن الرحمة، ومدى اعتماد أي ديانة (اليهودية والمسيحية والإسلام) على الرحمة أو إغفالها لها بناء على التحليل من جهة، وعلى قراءات معرفية من جهة أخرى.

أولا
نموذج الرحمة الإلهية بين القرآن الكريم والكتاب المقدس

يتصف الإله في الكتاب المقدس بأنه إله الحرب والجيوش(١)، حيث جاء في سفر يشوع (Joshua)(٢): ".. لأن الرب إلهكم هو المحارب

---

(١) قد يلاحظ البعض أن هذه الصفات لا تليق بالذات الإلهية، كما لا تليق بالأنبياء المكرمين، لكننا هنا نذكر هذه الصفات بحسب ما يؤمنون به من خلال كتبهم المقدسة، التي لا تزال إلى حد الساعة كذلك، في حين أن صفات الخالق ﷻ والأنبياء في القرآن غير ذلك تمامًا، والبون بينهما واسع وشاسع.

(٢) يشوع: هو يشوع بن نون، المشهور الذي خلف موسى قائدا للعبرانيين، وكان اسمه أولًا هوشع، وهو الذي أقطع الإسرائيليين الأردن وقهر الكنعانيين. انظر: نخبة من اللاهوتيين: كتاب مرشد الطالبين، =

عنكم"(١)، وجاء في ذات المصدر: ".. لأن الرب هو المحارب عنكم، كما كلمكم"(٢) فالرب حسب الكتاب المقدس ما هو إلا قائد عسكري "يسير أمام المحاربين، لأنه رب الجنود.. يأمر بتدمير المدن، وتذبيح البشر في هجمات بربرية وحشية.. إن بني إسرائيل جعلوه إلهًا غاضبًا ظالمًا قاسيًا يسر لرائحة المحرقات، وينتشي برائحة الدم.."(٣)، ولعل أبلغ نص في الكتاب المقدس ما جاء في سفر التثنية: «إذا سننت سيفي البارق، وأمسكت بالقضاء يدي، أرد نقمة على أضدادي وأجازي مبغضي، أسكر سهامي بدم، ويأكل سيفي لحما بدم القتلى والسبايا، ومن رؤوس قواد العدو»(٤).

وورد في سفر إشعيا (Isaiah) عن رحمة اللّٰه ما يلي: "اقتَرِبوا واَسمَعوا أيُّها الأمَمُ!، أصغوا إليَّ أيُّها الشُّعوبُ!, لِتَسمَعِ الأرضُ وكُلُّ مَنْ فيها، العالَمُ وكُلُّ ما يُخرِجه، الرّبُّ غاضِبٌ على الأُمَم، ساخطَ على كُلِّ جيوشِهم، فحَلَّلَ سَفكَ دمائهم، ودَفَعهُم دَفعًا إلى الذَّبَح، فتُطرَحُ قَتلاهُم في الشَّوارِعِ ويفوحُ النَّتَنُ مِنَ جيَفِهِم، تسيلُ الجبالُ مِنً دِمائِهِم"(٥) هذا هو الإله في الكتاب المقدس.

أما إذا جئنا إلى القرآن الكريم فإننا نجد البون شاسعًا بينهما، فهناك الكثير من النصوص الشرعية التي تبين سعة رحمة اللّٰه، وسنحاول بيان الاقتصار على البعض منها لضيق المقام، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [النساء]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ

= ص ٨٤-٨٥، ومعناه في اللغة العبرية (الرب يخلص) وترجمة هذا الاسم يشوع خطأ، والصواب أن يترجم يهوشوع كالأصل العبري، انظر في ذلك: بدر محمد: قواعد اللغة العبرية، ص ١٢٩.
واسمه في الأصل هوشع (انظر سفر العدد ١٣: ٨)، ثم سماه موسى عليه السلام يوشع (انظر: عدد: ١٣: ١٦)، وهو خليفة موسى عليه السلام، ابن نون من سبط إفرايم بن يوسف عليه السلام..

(١) سفر يشوع ٢٣: ٣،
(٢) سفر يشوع ٢٣: ١٠.
(٣) حسن الباشا القرآن والتوراة، ص ١١٣.
(٤) سفر التثنية ٣٢: ٤١-٤٢
(٥) التوراة، سفر إشعيا، إصحاح ٣٤

جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر:٥٣]، وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غافر:٧] وقال تبارك وتعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام:٥٤].

وقال رسول الله ﷺ: «قال رجل لم يعمل خيرًا قط: فإذا مات، فحرقوه، واذروا نصفه في البر، ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحدًا من العالمين، فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال: لِمَ فعلت؟ قال: من خشيتك وأنت أعلم. فغفر له»(١).

ثم لنذكر مظهرًا واحدًا من مظاهر سعة رحمة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وهو تجاوزه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عن الزلل، وشكره للقليل من العمل، وعفوه عن السيئات، ومضاعفته للحسنات، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠﴾ [الأنعام:١٦٠]، وقال رسول الله ﷺ: إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدةً. متفق عليه(٢).

وقال ﷺ: «إن رجلًا لم يعمل خيرًا قط، وكان يداين الناس، فيقول لرسوله: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز لعل الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن يتجاوز عنا. فلما هلك، قال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ له: هل عملت خيرًا قط؟ قال: لا، إلا أنه كان لي

---

(١) أخرجه البخاري: صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط ١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، ج٩، رقمه ٧٥٠٦ ص١٤٥.

(٢) أخرجه البخاري: صحيح البخاري، باب من هم بحسنة أو بسيئة، ج٨، رقمه ٦٤٩١، ص ١٠٣.

غلام، وكنت أداين الناس، فإذا بعثته ليتقاضى قلت له: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز لعل اللّه يتجاوز عنا، قال اللّه سبحانه وتعالى: قد تجاوزت عنك(١).

هذه بعض نماذج الرحمة الإلهية في القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية.

ثانيًا

نموذج الرحمة من خلال قصة آدم في القرآن الكريم والكتاب المقدس

إن المتأمل في قصة سيدنا آدم عليه السلام في الكتاب المقدس لاسيما العهد القديم منه يجد أن آدم عليه السلام لما عصى ربه لم يغفر اللّه له، وإنما توعده، ولعن الأرض بسببه، فنقرأ في الكتاب المقدس: وقَالَ لآدَمَ: «لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ، وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلًا: لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ، الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ»(٢).

في حين نجد الكتاب المقدس في عهده الجديد قد رتب على معصية آدم خطيئة لا يمكن غفرانها، وجعل العهد الجديد الخلاص من هذه الخطيئة على يد كائن نصفه إنسان ونصفه إله، نظرًا لتعذر مغفرة هذه الخطيئة، حيث تحتم قتل هذا الكائن، ليتحمل هذه الخطيئة عن البشر، وبذلك يتوب اللّه سبحانه وتعالى على خلقه المخطئين.

---

(١) أخرجه الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، رقمه: ٢٢٢٣، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، ج٢، ص٣٣.

(٢) سفر التكوين ١٧: ٣-١٩.

فنقرأ الآيات التالية في العهد الجديد: "وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ، هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. أَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. أَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ. اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ. وَهذِهِ هِيَ الدَّيْنُونَةُ..."(١).

أما في الإسلام، فنجد أن آدم لم يحتج إلى شيء بعد معصية اللّه إلا إلى التوبة النصوح. فلما تاب توبة نصوحا، تاب اللّه عليه ورحمه رحمة واسعة. يقول اللّه تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة].

وفي الآية تقرير لمفهوم التوبة في الإسلام، ففي مسارعة آدم عليه السلام إلى التوبة والإنابة والاستغفار تعليم لجميع بني البشر بما ينبغي أن يكونوا عليه إذا زلوا في أثناء ممارستهم خلافة الأرض، فباب الرحمة والتوبة مفتوح، واللّه سبحانه وتعالى يحب من عباده إذا أذنبوا أن يستغفروا ويتوبوا إليه.

ثالثًا

تجليات الرحمة في النموذج النبوي بين موسى عليه السلام(٢) ومحمد ﷺ من خلال شريعة الحرب والقتل

(سنستعين بأحداث السيرة في ذلك).

ذكر الكتاب المقدس في سفرا الخروج (Exodus) والعدد(٣) (Numbers)

---

(١) سفر يوحنا ١٤: ٣-١٩.

(٢) موسى الذي تحدثت عنه التوراة ليس هو موسى عليه السلام المذكور في القرآن الكريم.

(٣) سفر العدد: هو رابع أسفار موسى الخمسة في العهد القديم، وهو تتمة الأسفار الثلاثة =

قصة موسى عليه السلام في مصر، وكيف أنه فر باتجاه مديان طالبا الأمن والآمان، فوجد عند أهلها، وعلى رأسهم الكاهن يثرون(١) الحضن الدافئ، والأمن والسلام، وكيف تزوج من ابنته... وبعد فترة آثر موسى عليه السلام العودة إلى مصر..، ومرة أخرى خرج من مصر، لكن جاءته آوامر يهوه(٢) الغريبة، التي تقضي بتدمير مديان وأهلها وتخريبها دون أدنى اعتبار لصلة الرحم التي تربطه بها، ذلك أنهم صاروا أصهاره وأخوال أولاده، ناهيك على أنهم أنقذوه من محنته التي مر بها، وليس هذا فحسب، بل إنهم أمنوه على حياته، ثم عدوه واحدًا منهم لما زوجوه، لكن موسى نسي وتناسى كل ذلك، واستمع لأوامر يهوه التي تقول: ”وكلم الرب موسى قائلًا: انتقم نقمة لبني إسرائيل من المديانيين، ثم تضم إلى قومك“(٣).

”ودون أن يستفسر موسى ربه عن سبب هذا الانتقام، فإنه التفت إلى بني إسرائيل وأعطاهم الأوامر الصارمة التي تفيد تنفيذ نقمة الرب الإسرائيلي على مديان، حيث جاء في العهد القديم، فجندوا على مديان كما أمر الرب، وقتلوا كل ذكر وملوك مديان، قتلوهم فوق قتالهم.. خمسة ملوك مكديان.. وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم، ونهبوا جميع

= التي قبله، والتي تروي قصة الشعب العبراني، من بدأ الخليقة إلى خروجهم من مصر، ويروي سفر العدد قصة بني إسرائيل في سيناء، ووصولهم إلى موآب، وإشرافهم على أرض الموعد.. انظر: قاموس الكتاب المقدس (حرف العين/ مادة العدد).

(١) يثرون : وورد اسمه في الكتاب المقدس يثرو، يثرون، ورعوئيل وهو النبي شعيب عليه السلام.
انظر: سيد سليمان عليان: نساء العهد القديم، ط١، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، ص١٢

(٢) يهوه: اسم الإله في التوراة التي بين اليهود، وأصل الكلمة هيه، هوه، أي أنا هو من هو..
انظر: الخوري بولس الفوغالي: المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، ط١، بيروت: المكتبة البولسية وجمعية الكتاب المقدس، ٢٠٠٣م، ص ١٤١٦.
وقال العقاد: وهذا اسم لا يعرف اشتقاقه على التحقيق، فصح أنه من مادة الحياة، ويصح أنه نداء لضمير الغائب، لأن بني إسرائيل كانوا يمنعون ذكره، ويكتفون بالإشارة إليه.
انظر: عباس محمود العقاد: الله، ط٤، مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م، ص٧٤.

(٣) سفر العدد، ٣١: ١-٢.

بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم، وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار.."(١).

ومن خلال هذا النص، فإنها كانت إبادة تامة شاملة للملوك والرجال، وحتى العقارات والمساكن والحصون، وقد استشاط موسى غيظًا وغضبا بعد ذلك على قادة الجنود، لأنهم تركوا الأطفال والنساء أحياء، حيث ورد في العهد القديم: "فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب، وقال لهم: هل أبقيتم كل أنثى حية"(٢).

وبعد هذا التوبيخ والتقريع الذي لحق بقادة الجيش وجه لهم أوامره الجديدة، التي تقضي بتنفيذ مجزرة جديدة إرضاء ليهوه: "فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، وكل امرأة عرفت رجلًا بمضاجعة ذكر فاقتلوها"(٣)، هذه المجازر هي التي جعلت ويل ديورانت(٤) يعلق على ذلك بقوله: "ولسنا نعرف في تاريخ الحروب مثل هذا الإسراف في القتل والاستمتاع به"(٥).

وهكذا يصور سفر الخروج موسى بأنّه كان قاسيًا متشددًا إلى الدرجة التي لم يكن ليتوانى عن تنفيذ أي عقوبة حتى على شعبه المميز المختار من الإله يهوه، فقد كانت نزعته العدوانية متفوقة على النزعة الإنسانية، وهذه القسوة والشدة التي ألصقها كاتب سفر الخروج بموسى جعلت منه قائدًا يدرب بني إسرائيل على الوحشية والعدوانية تجاه الشعوب الأخرى.

---

(١) سفر العدد، ٣١: ٧-١٢.

(٢) سفر العدد، ٣١: ١٤-١٥

(٣) سفر العدد، ٣١: ١٧-١٨.

(٤) ويل ديورانت(١٨٨٥م-١٩٦٢م): فيلسوف أمريكي من أبرز الذين وقفوا جهودهم على تبسيط التاريخ والفلسفة، انتسب إلى كلية القديس بطرس اليسوعية في جيرسي، ثم إلى جامعة كولومبيا بنيويورك، امتهن الصحافة ثم تحول لتدريس اللغة اللاتينية والإنجليزية والفرنسية، ثم اشتغل بالفلسفة، حيث نال درجة الدكتوراه سنة ١٩١٧م، من آثاره: الفلسفة والمشكلة الاجتماعية، قصة الحضارة..
انظر ترجمته في: محمد عبدالرحيم: مقدمة قصة الحضارة لصاحب الترجمة، ص٢١ وما بعدها..

(٥) ويل ديورانت: قصة الحضارة، ص ٣٢٧، وانظر في ذلك: عابد الهاشمي: التربية في التوراة، ط١، دب: مؤسسة الرسالة ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠ م، ص١٢٥.

هذه إذن صورة موسى في الكتاب المقدس، وهي بلا أدنى شك صورة بعيدة كل البعد عن الرحمة والرأفة التي يصورها الحديث النبوي عن الرسول محمد ﷺ عندما رأى امرأة مقتولة في بعض الغزوات، فأنكر قتل النساء والصبيان(١)، وفي موقف آخر؛ قال عن المرأة المقتولة: ”ما كانت هذه لتقاتل(٢)“، بل وكان من وصايا الرسول ﷺ لأمرائه، وقادة سراياه: ”لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا“(٣)، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره أن الغلول هو الخيانة في الغنيمة، وأن الغدر، وهو نقض العهد، وعن التمثيل، وهو تشويه القتلى بقطع الأنوف أو الآذان، أو بقر البطون ونحو ذلك.

فنجد صورة النبي محمد ﷺ في شريعة الحرب والقتل تختلف كل الاختلاف عن صورة موسى التوراتي، الذي لم يسلم منه أحد، سواء النساء أم الأطفال أم الشيوخ.

رابعًا
الرحمة بالحيوان
بين القرآن الكريم والكتاب المقدس

ورد في سفر الخروج وجوب رجم الثور الذي ينطح رجلًا فيقتله، حيث جاء في سفر الخروج: ”فإذا نطح ثور رجلًا أو امرأة، وأفضى ذلك إلى موت النطيح، وجب رجم الثور، وحرم أكل لحمه“(٤)؛ وهذا النص صريح في اعتبار الثور أهلًا لاحتمال المسئولية الجنائية، وفي اعتبار رجمه جزاءً بالمعنى

---

(١) أخرجه البخاري: الجهاد، باب تحريم قتل النساء،، ج٤، ص٧٤، رقمه: ١٧٤٤

(٢) أخرجه أبو داود: الجهاد، رقم ٢٦٦٩،، ج٤، ص٧٤، رقمه: ١٧٤٤

(٣) أخرجه أحمد، ج١، ص ٤٩٣، والبيهقي: في السنن، ج١٣، ص ٣٨٥

(٤) سفر الخروج: ٢١/ ٢٨- ٢٩.

القانوني الدقيق لكلمة الجزاء؛ كما جاء في سفر اللاويين(١) (Leviticus) هذا النص: "إذا جعل رجل مضجعه مع بهيمة فيقتل الرجل وتميتون البهيمة، وإن قربت المرأة حيوانًا وجب قتل المرأة والحيوان"(٢). والأمر نفسه بالنسبة للتلمود(٣) (Talmud) حيث جاء فيه: "الحيوان الذي ضاجع امرأة أو رجلا، أو ضوجع عن طريق رجل، والرجل والمرأة يعاقبان على مضاجعة البهيمة بالرجم، ويميتون البهيمة، لأنه قد لحقها الخزي والعار".(٤)

ولا تقل هذه النصوص صراحة عن النصوص السابقة في اعتبار الحيوان أهلًا لاحتمال المسؤولية الجنائية وما يترتب عليها من جزاء، بل وُجدت محاكمات خاصة للحيوانات في شرائع اليونان القديمة، ذكر فيها أفلاطون(٥) في (القوانين) أنه إذا قتل حيوان إنسانًا كان لأسرة القتيل الحق في إقامة دعوى على الحيوان أمام القضاء!، وفي حالة ثبوت الجريمة على الحيوان، يجب قتله قصاصًا !، وبلغ الأمر عند قدماء الفرس غاية العجب، إذ ورد في أسفار الأبستاق أو الأفستا (٦): وهي مجموعة الكتب المقدسة

---

(١) سفر اللاويين Leviticus: سمي بسفر اللاويين نسبة إلى لاوي بن يعقوب عليه السلام، وهو يتضمن الشرائع والنظامات المختصة بالكهنة والذبائح.
انظر: نخبة من اللاهوتيين: كتاب مرشد الطالبين، ص٧٤.

(٢) سفر اللاويين: ٢٠

(٣) التلمود: Talmud هو مجموعة قواعد ووصايا وشرائع دينية وأدبية ومدنية وشروح وتفاسير وتعاليم، وروايات كانت تنقل وتدرس شفهيًا ثم دونت بعد ذلك.
انظر: فكري جواد عبد: كتاب التلمود في الفكر اليهودي، مركز لدراسات الكوفة، جامعة الكوفة، العدد ٦، ٢٠٠٧، ص ٢٢٦

(٤) الحاخام عادين شتينزلتس: معجم المصطلحات التلمودية، تر: مصطفى بن عبدالمعبود سيد، العدد ٠٩، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م، ص٢٣٦

(٥) أفلاطون: هو أحد أهم كبار فلاسفة اليونان، الذين خلدهم التاريخ، وقد تنوع نتاجه الفلسفي، ليضم معظم مجالات المعرفة، وهو أول من وضع مذهبا فلسفيا متسقًا في أفرع الفلسفة جميعا ومنها الميتافيزيقا والطبيعيات والسياسة والأخلاق..
انظر ترجمته في: حسين حمزة شهيد: الأخلاق في فكر أفلاطون، العدد ١٠، جامعة الكوفة، مركز دراسات الكوفة، ٢٠٠٨م، ص٢٥٩.

(٦) الأفستا: هو الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية يتجاوز عمره ثلاث آلاف سنة، وهو أقدم وثيقة دينية تاريخية، وثقافية، وأنثروبولوجي تعكس المراسم والطقوس الدينية.
انظر: خليل عبدالرحمن: أفستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، ط٢، دمشق: سوريا، روافد للثقافة والفنون، ٢٠٠٨م، ص٠٧.

المنسوبة لزرادشت(١) أن الكلب المصاب بالكَلب (داء الكلب) إذا عض خروفًا فقتله، أو إنسانًا فجرحه قطعت أذنه اليمنى(٢)، فإن تكرر منه ذلك قطعت أذنه اليسرى، وفي المرة الثالثة تقطع رجله اليمنى، وفي الرابعة رجله اليسرى، وفي الخامسة يستأصل ذنبه؛ ويعاقب صاحبه كذلك إن كان قد أهمل في اتخاذ ما ينبغي اتخاذه.

وفي القرون الوسطى كانت فرنسا أول أمة أوروبية أخذت في القرن الثالث عشر بمبدأ مسئولية الحيوان ومعاقبته بجرمه أمام محاكم منظمة، ثم أخذت بذلك (سردينيا)، ثم بلجيكا في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، وفي هولندا وألمانيا وإيطاليا في منتصف القرن السادس عشر الميلادي، وظل العمل به قائمًا عند بعض الشعوب حتى القرن التاسع عشر الميلادي. وكانت محاكم الحيوان عند الأوروبيين تقوم على ادعاء المجني عليه أو النيابة العامة، ثم يتقدم وكلاء الدفاع عن الحيوان المجرم، وقد تقضي المحكمة بحبس الحيوان احتياطيًّا، ثم يصدر الحكم بعد ذلك، وينفذ على ملأ من الجمهور، كما كان ينفذ على الإنسان. وقد يكون الحكم بإعدام الحيوان رجمًا، أو بقطع رأسه أو بحرقه، أو بقطع بعض أعضائه قبل إعدامه.

وليس أدل على ذلك من استمرار المسابقات الوحشية، المعروفة بمصارعة الثيران في إسبانيا واليونان وإيطاليا، تلك المسابقات التي يجتهد فيها المصارع أن يقتل الثور تدريجيًّا ليذيقه الموت البطيء، وذلك

---

(١) زرادشت Zarathustra: هو مؤسس الديانة الزرادشتية، وقد ولد بين سنة ٦٠٠٠ق.م و٦٠٠ق.م، وقد عاش في مناطق أذربيجان وكردستان وإيران، وظلت تعاليمه منتشرة في مناطق واسعة من وسط آسيا إلى موطنه الأصلي إيران حتى ظهور الإسلام.
انظر: ترجمته في: الشفيع الماحي أحمد: الزرادشتية وزرادشت، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت، ١٩٩٨م، ص١٤.

(٢) راغب السرجانى: حقوق الحيوان في الحضارة الإسلامية، موقع الجمعية الشرعية، مقال منشور، الأربعاء ٢٣ يونيو ٢٠١١م،
انظر الرابط: http://alshareyah. com/index. php?option=com_content&view=article&id=1949: -q-q-&catid=148: issue-59&Itemid=832

عن طريق رمي السهام في جسده حتى الموت، وإن هذه المصارعات تقام في حلبات كبرى يشاهدها الجمهور بحماس، وقد أشارت الإحصاءات إلى ما يقرب من ٣٥ ألف ثور يعذب ويموت سنويًّا في إسبانيا وحدها، ونحو ١٠ آلاف ثور في حلبات أوربا⁽¹⁾.

أما إذا رجعنا إلى الدين الإسلامي، فنجد الفرق كبيرًا في ذلك، فالقرآن الكريم أول كتاب يهتم بأصناف الحيوانات، ويصفها بالنعم والأنعام، وهناك سور عديدة سميت بأسماء عدد من الحيوانات، كسورة البقرة والأنعام... إلخ. كما ذكر القرآن العديد من الحيوانات والطيور، وربطها بالإنسان عامة، وبالكثير من الأنبياء والصالحين خاصة، واستعملها القرآن الكريم كضرب للأمثال، مثل: ناقة صالح، وحوت يونس، وغنم داود، وهدهد سليمان، وطير إبراهيم...، وضرب المثل بالكلب في مواقف، وبالذباب في مواقف، وبالطير في مواقف...،⁽²⁾ وهذا وإن دل على شيء فإنه يدل على تكريمه لهذه المخلوقات،

والإسلام هو أول من أَصل لرعاية الحيوان والرفق به في آداب راقية ؛ منها ما هو واجب يأثم المرء إن لم يفعله، ومنها ما هو مندوب، لفاعله أجر وثواب ومغفرة، فقد أخبرنا رسول الإنسانية ﷺ عن امرأة أنها استوجبت النار بسبب حبسها لقطة لم تقدم لها الطعام، ولم تتركها تسعى لتأكل من حشرات الأرض وهوامها⁽³⁾؛ وعن بغي من بغايا بني إسرائيل غفر الله لها بسقيها كلبًا كان يلهث من العطش... فيا لعظمة هذا الدين.

وجاء عن النبي ﷺ أنه دخل يوما حائطًا لرجل من الأنصار، فإذا جمل

---

(١) راغب السرجاني: حقوق الحيوان في الحضارة الإسلامية، المقال السابق نفسه.

(٢) طارق حسن بن عوف: جريمة القسوة على الحيوان بين أحكام الفقه الإسلامي وادعاءات النظم الغربية، مجلة الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، العدد ٢٣، ٢٠٠٤م، ص٥١.

(٣) انظر البخاري: باب فضل سقي الماء، رقمه، ٢٣٦٥، ج٣، ص١١٢، ومسلم، باب تحريم قتل الهرة، رقمه ٢٢٤٢،، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج٤، ص١٧٦٠،

فلما رأى النبيَّ حنَّ إليه وذرفت عيناه، فأتاه النبيُّ فمسح ذفرته فسكن، فقال: «مَنْ رَبُّ هذا الْجَمَلِ؟ لِمَنْ هذا الْجَمَلِ؟» فجاء فتى من الأنصار، فقال: هو لي يا رسول اللّه، فقال: «أَلا تَتقي اللّه في هذِهِ البَهيمَةِ الّتي مَلَّكَكَ اللّه إِيّاها، فَإِنَّهُ شَكا لي أَنَّكَ تُجيعُهُ وَتُدْئِبُهُ»(١)؛ كما نهى رسول اللّه ﷺ عن وسم الحيوانات في وجوهها، بالكي بالنار، أي كيّها بالنار لتمييزها بين الحيوانات الأخرى، فقد مرّ ﷺ على حمار قد وسم وجهه، فقال: «لعن اللّه الذي وسمه»(٢).

ونهى رسول اللّه ﷺ كذلك عن قتل أي حيوان دون سبب مشروع أو عذر مقبول، فقد روى النسائي عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: «من قتل عصفورًا عبثًا عجّ إلى اللّه عزّ وجلّ يوم القيامة يقول: يا ربّ إن فلانًا قتلني عبثا ولم يقتلني لمنفعة»(٣)، وفي رواية أخرى: «ما من إنسان قتل عصفورًا فما فوقها بغير حقها إلاّ سأله اللّه عزّ وجلّ عنها»(٤)، قيل: يا رسول اللّه وما حقها؟ قال: «يذبحها فيأكلها، ولا يقطع رأسها ويرمي بها»(٥).

وقد عرفت الحضارة الإسلامية الرفق بالحيوان منذ قامت، واستمر ذلك عبر تاريخها ؛ وسجل الوقف الإسلامي سبقًا في إنشاء دور لرعاية الخيل، وأخرى لرعاية الحيوانات الضالة، وكان هناك أوقافٌ خاصة

---

(١) أخرجه أحمد: المسند، حديث عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ﵁، رقمه: ١٧٥٥، تحقيق: أحمد محمود شاكر، ط١، القاهرة: دار الحديث، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ج٢، ص ٣٦٩، والبيهقي: السنن الكبرى، باب نفقة الدواب، رقمه: ١٥٨١٤تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط٣، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ج٨، ص٢٣.

(٢) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه، رقمه، ٢١١٧، ج٣، ص١٦٧٣.

(٣) أخرجه النسائي: السنن، باب من قتل عصفورًا بغير حقها، رقمه: ٤٤٤٦، ج٧، ص٢٣٩، وأحمد في مسنده، حديث الشريد بن سويد الثقفي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط١: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ج٣٢، ص ٢٢٠.

(٤) أخرجه النسائي: السنن، باب إباحة كل العصافير،، رقمه: ٤٣٤٩، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، ج٧، ص٢٠٦.

(٥) أخرجه النسائي: باب إباحة كل العصافير، رقمه: ٤٣٤٩ ج٧، ص٢٠٦.

لتطبيب الحيوانات المريضة، وأوقافٌ لرعاية الحيوانات المسنة، قبل أن تعرف الحضارة الغربية الرفق بالحيوان بقرون عديدة(١).

ومن هنا تفرَّد الإسلام وعبر تاريخه المجيد بنظرة بالغة الرُّقي للحيوان وحقوقه، حيث جعل من الإحسان للحيوان والرحمة والرفق به، عبادة تُكفِّر الخطايا وترفع الدرجات، كما أن الإضرار بالحيوان وتعذيبه وتحميله فوق طاقته، جريمة توجب غضب الله وعقابه في الآخرة.

هذه جولة مع بعض المقارنات بين الكتابين، وهي تظهر فوارق شاسعة بينهما، وهنا نصل إلى طرح سؤال أخير في هذا الموضوع، وهو: إذا كانت الكتب المقدسة قد حثت على خلق الرحمة في كل جوانب الحياة العقدية والتشريعية، كما مر معنا، فهل طبقت في أرض الواقع؟ هذا ما سنحاول بيانه من خلال العنصر التالي.

* * *

---

(١) مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا، عمان، دار الوراق للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، ص١٨٤.

المحور الثالث
الرحمة والعنف
مقاربات في واقع المجتمعات العالمية

من المؤسف أن القرن الماضي كان أكثر القرون دموية في تاريخ البشرية جمعاء، فعوض أن تسعد البشرية بالتطور التقني والآلي، فإنها ذاقت الأمرين جراء تطوير الأسلحة، فكان عدد ضحايا الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م-١٩١٨م): ١٥ مليون قتيل.

أما الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) فخلفت: ٦٠ مليون قتيل(١)، والحرب الأهلية الروسية ٩ ملايين قتيل وضحايا حكم ستالين ٢٠ مليون قتيل، بالإضافة إلى كارثة هيروشيما وناكازاكي، وغيرها من المآسي في روندا، وكونغو، وأفغنستان، والجزائر والعراق اليوم وفلسطين... إلخ، ثم الملايين الذين يموتون بسبب الدخان والخمر والمخدرات والأمراض المستعصية مثل الأيدز.. مرورا بالإجهاض، وبالأغذية المعدلة جينيًّا وآثارها الكارثية على البشرية، وغير ذلك مما نعرف ومما لا نعرف(٢).

فالسؤال المنطقي المطروح هنا هو: من قتل هؤلاء وأولئك؟ بناء على أي ديانة أو كتاب أو شريعة؟؟

هل بناء على القرآن الكريم والشريعة الإسلامية؟ أم بناء على الموروث

---

(١) محمد موسى بابا عمي مطارحة علمية مع بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر، مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، قسنطينة، ٢٠٠٩م، العدد ٠٤، ص ٤٣٧

(٢) محمد موسى بابا عمي مطارحة علمية مع بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر، ص ٤٣٨.

الغربي المزيف المبني على الكتاب المقدس بشقيه العهد القديم والعهد الجديد؟.

لا شك أن الذين قتلوا كل هذا العدد، والذين استعمروا شعوبًا بكاملها، وأبادوا دولًا بأسرها، منسوبون إلى العالم الغربي، وهم أحفاد المزيج اليهودي-المسيحي، فهل بعد ذلك يتهم الإسلام بالعنف والدموية ولا رحمة، وهو الضحية في كل هذا؟

إن هؤلاء يأخذون من الإنجيل ما ينسب إلى المسيح ظلمًا وعدوانًا: ”لا تظنوا أني جئت لألقي سلامًا على الأرض، ما جئت لألقي سلامًا بل سيفًا“(١)، وفي موعظة أخرى للمسيح نقرأ ”جئت لألقي نارًا على الأرض، أتظنون أني جئت لأعطي سلامًا على الأرض، كلا أقول لكم بل انقسامًا“(٢) ثم تصدر مقولات على شكل نظريات قاتلة وفتاكة، مثل نظرية داروين، رغم أنها تعارض الديانات في ادعاء التطور عوض الخلق، إلا أنها تلتقي مع المزيج اليهودي-المسيحي في التبرير للعنف والدماء والقتل والفتك، حتى إن عدد الذين قتلوا في القرن الماضي يعدون بـ ١٧٠ مليون إنسان، جراء هذا الفكر الخطير، ذلك أن داروين يقول: ”إن تطور الحياة تقوم على أساس من الصراع من أجل البقاء، وهذه المواجهة ستحكم على الأقوياء بالبقاء، أما الضعفاء فمصيرهم الانهزام والفناء“(٣).

ولقد تبنى هيتلر فلسفة داروين ليقود العالم إلى هاوية كلفته عقودًا من الحروب والشقاء، فهل بعد هذا توجه أصابع الاتهام للدين الإسلامي بأنه دين لا رحمة فيه(٤)..

* * *

---

(١) إنجيل متى ١٠.

(٢) إنجيل لوقا ١٢.

(٣) شارلز داروين: أصل الأنواع، تر: مجدي محمود المليجي دب، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م، ص

(٤) محمد موسى بابا عمي : مطارحة معرفية مع بابا الفاتيكان بندكيت السادس عشر، ص٤٣٨.

الخاتمة

في هذا البحث حاولت أن أجري مقارنة كمية ثم تحليلية وكيفية بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، فتبين لي أن المقولة والافتراض الذي يقول بأن الإسلام دين العنف والقتل والرعب الذي لا رحمة فيه هي أطروحة خاطئة.

ولقد اعتمد هؤلاء وأقصد بهم اليهود والمسيحيين للترويج لهذه المغالطة الكبيرة على جهل الكثير من الناس في العالم بحقيقة الدين الإسلامي والقرآن الكريم، ولا شك أن الحوار العلمي الهادئ، والمطارحة المعرفية الدقيقة كفيلة برد الأفكار إلى نصابها، وبتصحيح الأخطاء من مظانها، وهذا ما اجتهدت فيه قدر المستطاع اتباعًا لمنهج القرآن الكريم الذي يدعو إلى مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، ولا يخاف من الحوار حتى وإن تحولت إلى مباهلة... ما كان المقصد منها استجلاء الحق وإظهاره، ووضع الإصبع على الباطل وإبطاله.

ولاشك أن القرآن الكريم بلا ريب هو كتاب الرحمة، والنبي المصطفى بلا شك، هو نبي الرحمة كذلك، ولكن يبقى على المسلمين أن يتصالحوا مع مصدرهم، ويقتفوا أثر نبيهم، حتى يتمكن دين الله في أرضه، ثم يعيدوا دعوة نبيهم إلى أهل الكتاب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التوصيات

١. إظهار صورة الإسلام الحقيقية المشرفة أمام العالم، وبيان أنه دين يدعو إلى الرحمة والمحبة والتسامح من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتاريخ الإسلامي المشرف.

٢. رد الطعون الموجهة إلى هذا الدين، ومنها الإرهاب والعنف والتعصب والغلو والتطرف وغيرها، وأن القرآن بريء من هذا كله.

٣. تخصيص محاضرات حول الرحمة في الإسلام والقرآن الكريم تعرض في الجامعات الغربية، ومراكز البحث الإسلامية وفي المساجد والكنائس، لتوضيح حقيقة هذا الدين.

٤. إن هناك حاجة ملحة تفرض علينا توفير مصادر معلومات صحيحة باللغات الأجنبية تكون متاحة ومتوفرة للصحفي والكاتب والمؤرخ الغربي، ومن دون وجود هذه المصادر تبقى جهود التصحيح رسمية كانت أو فردية غير قادرة على تحقيق المراد أو بلوغ المقصود.

٥. إعادة النظر في أساليب طرحنا للإسلام وثقافته وحضارته وطرائق تعبيرنا عن أفكارنا في أثناء مخاطبة الآخر، بما يتناسب وتصحيح الصورة، وتبديد سوء الفهم بأذهان الغربيين.

ثبت المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم برواية حفص
٢. الكتاب المقدس طبعة دار المشرق بيروت.
٣. أحمد بن حنبل:
  - المسند، حديث عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، تحقيق: أحمد محمود شاكر، ط١، القاهرة: دار الحديث، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ج٢
  - المسند، حديث الشريد بن سويد الثقفي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط١: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ج٣٢..
٤. أحمد عبدالوهاب: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ط٢، مكتبة وهبة، ١٩٨٨م.
٥. البخاري: صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ ج٩، رقمه ٧٥٠٦
٦. البيهقي: السنن الكبرى، باب نفقة الدواب، رقمه: ١٥٨١٤تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط٣، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية.
٧. الترجمة الفرنسية المسكونية للكتاب المقدس، المدخل إلى العهد القديم.
٨. جيفري لانغ: حتى الملائكة تسأل، تر: منذر العبسي، ط١: دار الفكر، ٢٠١٠م.
٩. الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، رقمه: ٢٢٢٣، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، ج٢.
١٠. حسين شعبان: بروشفيك وباشلايير: بين الفلسفة والعلم، ط١، بيروت: لبنان، دار التنوير، ١٩٩٣م.
١١. الحاخام ستيسالتز أجرى: المودة والرحمة.

١٢. خليل عبدالرحمن: أفستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، ط٢، دمشق: سوريا، روافد للثقافة والفنون، ٢٠٠٨م.

١٣. الخوري بولس الفوغالي: المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، ط١، بيروت: المكتبة البولسية وجمعية الكتاب المقدس، ٢٠٠٣م.

١٤. شارلز داروين: أصل الأنواع، تر: مجدي محمود المليجي دب، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م.

١٥. سيد سليمان عليان: نساء العهد القديم، ط١، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

١٦. عابد الهاشمي: التربية في التوراة، ط١، دب: مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٧. عباس محمود العقاد: الله، ط٤، مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

١٨. فؤاد عبدالباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم دط، دب: دار ومطابع الشعب، دت.

١٩. محمد فاروق الزين: المسيحية والإسلام والاستشراق، ط٣، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٣م.

٢٠. مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا، عمان، دار الوراق للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.

٢١. نخبة من الأساتذة: قاموس الكتاب المقدس، هيئة التحرير: بطرس عبدالملك وآخرون.

٢٢. مسلم، صحيح مسلم، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه، رقمه، ٢١١٧، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت: دار احياء التراث العربي، ج٣.

٢٣. النسائي: السنن، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ج٧.

٢٤. هنري. س. عبودي: معجم الحضارات السامية.

المجلات والدوريات:

٢٥. الحاخام عادين شتينزلتس: معجم المصطلحات التلمودية، تر: مصطفى بن عبد المعبود سيد، العدد ٠٩، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

٢٦. حسين حمزة شهيد: الأخلاق في فكر أفلاطون، العدد ١٠، جامعة الكوفة، مركز دراسات الكوفة، ٢٠٠٨م.

٢٧. الشفيع الماحي أحمد: الزرادشتية وزرادشت، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت، ١٩٩٨م.

٢٨. طارق حسن بن عوف: جريمة القسوة على الحيوان بين أحكام الفقه الإسلامي وادعاءات النظم الغربية، مجلة الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، العدد ٢٣، ٢٠٠٤م.

٢٩. علي مبارك: الرحمة والإحسان في تقاليد الأديان، مجلة الأديان، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، العدد ٠١، ٢٠١١م.

٣٠. محمد موسى بابا عمي مطارحة علمية مع بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر، مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، قسنطينة، ٢٠٠٩م، العدد ٠٤.

المراجع باللغة الأجنبية:

١. Alice M Sinnott, Mercy in the Bible, PDF.

٢. Alice M. Sinnott ,Mercy Ever Ancient Ever New: Spiritual and Corporal Works of Mercy, PDF.

٣. David Benjamin Keldan, Muhammad In The Bible, Editea by : David M. Rifat Al-Hanbali, Published by : ESBAH Publshing House, K S A.

٤. Dictionnaire encyclopédique du judaisme, Publie sous la direction de Geoffrey wigor édition de l’ Encyclopédie, S. éd, les éditions du cerf ;Paeris, 1993.

٥. Lang, Jeffrey ,Struggling to Surrender: Some Impressions of an American Convert to Islam. Beltsville, Maryland,USA, 1994.

٦. Norman Daniel,Islam et Occident, traduit par Alain Spiess, Eddn Cerf,Paris,1993.

٧. Verlyn. D. Verbrugge, New International Dictionary of New Testament Theology Copyright. By The Zondervan Corporation Michigan,2000.

المواقع الإلكترونية:

١. http://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/search.php

٢. http://alshareyah.com/index.php?option=com_content&view=article&id=1949:-q-q-&catid=148:issue-59&Itemid=832

٣. http://drghaly.com/articles/display/11532

٤. http://www.alawfa.com/Go.aspx?keyword=%d9%82%d8%aa%d9%84

٥. http://www.faustyna.pl/zmbm/en/in-the-old-testament/?wide=true#more-145

* * *